أنا عراقيّ.. إذاً أنا مقتول!

كتابات: باسم السعيدي

روى لي أحد الإخوة القادمين من بلد اليمن السعيد "وكان مدرّسا" هذه القصة: حدث في أحد الأيام أن نشبت معركة بين قبيلتين يمانيتين فمالت إحداهما على الأخرى بالسلاح ولما كانت الثانية على أتم الإستعداد للمعركة فلم يتمكن أحد من قتل أحد.. إلا مدرّس عراقي كان يظن أنه بمنأى عن الزوبعة فوقع في الأسر.. فنفذت القبيلة الأولى به حكم الإعدام كونه يسكن في حمى القبيلة الثانية.

وبعد أن وصلت الأخبار الى القبيلة الثانية ثارت ثائرتها على هذا الإعتداء الأثيم.. وشمّر فتيان وشباب القرية عن سواعدهم للأخذ بالثأر.. فما كان منهم إلا أن هاجموا القرية الأولى وأسروا مدرّسا عراقيا يسكن في حماها.. ليتم إعدامه على الملأ ثأرا للمدرس العراقي الذي قتل في الجولة الأولى للصراع!.

والنتيجة كانت إن الأخوة اليمانيين قتلوا عراقيين بريئين واحدا بالآخر واعتبروا أن النتيجة التعادل "١-١" وبذلك من الممكن أن يصطلحا بعد الجولتين اللتين نزلت على رؤوس العراقيين الأبرياء.

بمثل هذه العقلية تجرى فعاليات الحرب الأهلية الجارية في العراق.

ففي إحدى جلسات محاكمة الدكتاتور المخلوع وهو المعروف بهذياناته الفردانية التي تمجّد ذاته، نطق "وهذه إحدى عجائب الدنيا التي أغفل ذكرها كتاب غينيس" نطق حقا، وقال إن الذين يقتلون "بضم الياء" من العراقيين في الغالب هم من الأبرياء، وأما "والكلام ما يزال له" المقاوم أو المسلّح أو الجاسوس فهو يلتزم جانب الحيطة والحذر لأنه يعلم ما ينتظره فيما لو وقع بيد أعدائه فتراه مُسلحا على طول الخط لا يمضي في طريق إلا مع تغطية كاملة من أعوانه وحمايته "إنتهى".

وأشهد وأنا العراقي الذي يتسقط أخبار الشهداء في كل صبيحة "لأنه يبدو أن القتلة في موعد مع الصباح" أن هذا الأمر هو واقع اليوم، فالذي يُقتل اليوم ما هو إلا بريء لا يحتمل أن يكون هدفا، أو غشيم لا يأخذ الخطر على محمل الجد ويتناسى مدى خطورة الأزمة والاحتقان الطائفي ويمضي برجليه الى حتفه الذي ينصب شراكه له الطائفيون.

ولو أردنا أن نصطلح على كلمة تختصر هؤلاء الضحايا فهي "عراقي".. لأن الذي لديه خبرة في التملص من شراك الطائفية ويحمل سلاحه بمعية أعوانه وحمايته، هذا الرجل يكون إنتماؤه لطائفيته وميليشياتها ومجاميعها المسلحة.. سواء أكان من هذه الجهة أو تلك!! وبذلك لا يكون عراقيا بقدر عنوانه الثانوي.

لذلك فكل من يريد النجاة "للأسف" من شراك القتل عليه أن يتخلى عن عراقيته ليعود الى الخندق الأضيق والهوية الفرعية كي يأخذ حذره فلا يقع في الفخ.

ونتيجة المعارك التي تجري على الساحة العراقية شبيهة بل مطابقة لما جرى في اليمن السعيد.. فالعراقي هو المقتول وغيره بمنجاة من القتل!.

صلاح زينل

هل تسكن الذئاب مع الحملان يوما!

سيزار هوزايا - استراليا

سُئل احد كبار المؤرخين في العالم ممن كرسوا حياتهم لدراسة التاريخ وتسجيل احداثه: "ما هو اهم درس تعلمته في حياتك من خلال دراستك لاهم الاحداث البارزة في التاريخ؟".

فاجاب على الفور: "عندما تشتد ظلمة الليل، تلمع النجوم".

وللكثير من الشخصيات التاريخية قصة مع هذا "الظلام" وهذه "النجوم".. فهناك جون ستيوارت مل، الفيلسوف الاقتصادي الانكليزي، الذي عانى من ازمات نفسية حادة قبل ان يرى "النجوم" في ليله المظلم ، ويصبح من اكبر الفلاسفة الاقتصاديين في تاريخ انكلترا، جبران خليل جبران، الاديب اللبناني العالمي، الذي ابدع في خلق "تيه" بعد ان "تكسرت اجنحته" وعاش "تائها"*.. وكذلك ابراهام لنكولن، الرئيس الأميركي الاسبق، وقصته المعروفة مع نجوم الليل.

وسنورد مقتطفات من هذه السيرة كما وردت في كتاب دايل كارنيجي عن سيرة وحياة لنكولن، اذ يقول: "لقد اصبح لنكولن مريضا الى درجة الخطر جسديا وعقليا، كما انه غرق في نوبة عميقة وخطيرة من الميلانخوليا "احد اخطر امراض الاضطرابات العقلية" بحيث انه كان يبرطم بألفاظ غير متناسقة ويهدد على الدوام بإنهاء حياته، حتى انه كتب قصيدة يمجد فيها الانتحار.. ما جعل اصدقاءه يخفون سكينه الخاص به بهدف منعه من الاقدام على الانتحار".

مع هذا، وعندما وصلت ظلمة الليل ذروة اشتدادها في حياة لنكولن.. لمعت النجوم في افق فكره، وتخلص من حالته، واضحى رئيسا عظيما للولايات المتحدة الأميركية.. وجعل منها الدولة التي طالما حلم بها، "امة واحدة موحدة، ومرتعا للحرية والعدالة المتوفرة للجميع".

ونحن؟؟

اليوم، قد "يشكو" بعضنا، افراداً كنا او مؤسسات، من اننا كشعب كلداني سرياني اشوري، نمر بحالة القنوط واليأس التي مر بها لنكولن.. حالة الظلمة الحالكة.. و"إنعدام الرؤية".. بسبب "سواد الليل" الذي لم نعد نرى في سمائه اي نجوم تلمع.. هذا السواد هو مرآة عاكسة للسلبية المعششة في تفكيرنا.. والتي نترجمها على ارض واقعنا بمشاعر وتعابير لا تعمل الا على اثارة الافكار السلبية لدى الغير، فنمسي بذلك مصابين بمرض السلبية الذي ننقله للاخرين، وهو "سريع الانتقال" خصوصا في ظروف قد "ترى" انها لا تحمل اي بصيص امل.. فنتداول اصطلاحاتنا تلك لتضحى تعابير متعارف عليها، تستخدم "وبسهولة وسلاسة وتلقائية" في احاديثنا، حواراتنا، ومقالاتنا.. وهاك منها:

الانقسام الكنسي، انعدام الشعور القومي، لا مؤسسات، لا مستقبل للشعب الكلداني السرياني الآشوري في العراق، احزاب كرتونية، شعب غير واع، تطرف، متطرفين، تشرذم، إنقسامات، شراء ذمم، ارتماء في احضان الغريب.. والقائمة طويلة، و"الاختراعات" كثيرة.

ان احتمالية اصابة اطفالنا وصغارنا بعدوى هذ المرض "مرض السلبية" هي احتمالية كبيرة جدا.. فالاطفال يتلقفون ويترصدون كل كلمة يسمعونها من والديهم وأفراد عوائلهم، فهم يترصدون كلامنا وافعالنا ليقلدونا.. ونحن هنا نقوم بدور العامل المساعد لنقل عدوى المرض من خلال نشر هذه الانطباعات "وسنحاول التطرق الى خطورة هذه المسألة في مقالات قادمة".

حوار

و"قد" تكون بعض هذه "الحالات" من واقع حياتنا، ولكل منا ان يسطر عشرات بل مئات "المشاكل" "كما يحلو لنا تسميتها" والتي "تملأ" مجتمعنا "كما نتصور"، وانقل هنا "مقتطفات" لحوار دار بين مجموعة مكونة من ٥ اشخاص، عن "حالتنا" "غير الصحية".. وقد كنت شاهد عيان على "الحوار".

الأول: المشكلة في "الآثوريين"!!، وبالذات في الحركة الديمقراطية الأشورية، فلو انها قبلت ان تتنازل قليلا لما كان ما كان.

الثاني: ليس للحركة دخل في المشكلة، فالقوى الكلدانية هي التي شاءت ان تصعد على اكتاف الغير دون ان تقدم شيئا.

الثالث: لو كانت الكنيسة موحدة لحلت كل هذه المشاكل.. ان رجال الدين هم السبب الأول فيما نحن عليه.

الرابع: المشكلة مشكلة الشعب بأكلمه، فهو غير واع.. و"متخلف" ولا يهتم بشئ غير معيشته..

الخامس: ليس للمشكلة حل، وكل ما نقوله هو اضاعة للوقت.. الافضل ان نهتم بحالنا ومعيشتنا.

كما ذكرت، فهذه مجرد مقتطفات، من الحديث الذي كان طويلا، ومبنيا على هذه "النظريات" و"التحليلات".. والذي قد يتكرر في ازمنة وامكنة مختلفة..

ليس لأحد منا ان ينكر وجود اختلافات في وجهات النظر وعوائق تظهر بين الفينة والاخرى في مسيرة الشعب، لكن تركيزنا عليها، وجعلها محور حديثنا، والتطرق اليها في كل حين، يحول وجهة تفكيرنا من الايجابية الى السلبية، وهذا التحول في التفكير هو اول مراحل الاصابة باليأس والميلانخوليا، التي سيكون الشعب الخاسر الوحيد فيها.

عودة الى لنكولن

اصيب لنكولن باليأس واقصى درجات الاضطراب النفسي.. و"مجّد" الانتحار.. ثم خلص.. وتخلص.. من مرضه النفسي.. وانتهى به المطاف رئيسا للولايات امتحدة الاميركية.. فهل نمر بما مر به لكي نحقق نجاحنا ووجودنا؟؟.

حيث كثرت الخطينة ازدادت النعمة.. هذا ما قاله الرسول بولس في رسالته الى اهل رومية ٥:٢٠، لكنه اضاف.. أنبقى في الخطيئة لكي تكثر النعمة؟.. حاشا، نحن الذين متنا عن الخطيئة كيف نعيش فيها بعد؟؟.

هنا يتجلى بوضوح دور الروح القدس في تكثير النعمة فهو ..المعزي.. المنشط.. العامل الايجابي الاساس في تطور الانسان.. وهو المحرك.. الدينمو.. علامة الموجب في معادلاتنا.. شرارة الايمان.. والخير.. التي تكمن في اعماقنا.

اجل ..انه ذات التفسير الذي يجب ان نعتمده في مسألة ظلمة الليل ولمعان النجوم.. فليس الحري بنا ان نستسلم لليأس والقنوط لكي نحلم بالامل.. بل على العكس، ان ادراكنا لليأس ومحاولة عدم الانزلاق في تياره، انما هو اولى خطوات تحقيق الامل.. فالتعايش مع الواقع بإيجابية، والحلم بمحاولة تغييره نحو الأفضل.. هو الامل المنشود.

ويحق لنا ان نحلم بذاك الامل ونعمل على تحقيقه.. فقد حلم ابراهام لنكولن بـ "امة واحدة موحدة، ومرتعا للحرية والعدالة المتوفرة للجميع". ولمعت نجوم لنكولن في سمائه، و طبعها على علم بلده.

وكذلك حدث مع مارتن لوثر كينغ.. ألم يبدأ مشروعه العظيم، مشروع المساواة بين السود والبيض بحلم؟، حلم عميق.. وغريب.. فكيف له ان يحلم بأنه في يوم من الأيام وعلى تلال "جورجيا" الحمراء، سوف يجلس أبناءُ العبيد السابقين، وأبناء أصحاب العبيد معا على مائدة الأخوّة.

كيف له ان يحلم بأنه في يوم من الأيام، حتى ولاية "المسيسيبي"، والتي تعدّ صحراء قاتلة بفعل حرارة الظلم والاضطهاد، سوف تتحول إلى واحة للحرية والعدالة.

كيف له ان يحلم بأن أطفاله الأربعة سوف يعيشون يوما ما في دولة لا يُحكم عليهم فيها على أساس لون بشرتهم، وإنما شخصهم وافعالهم.

ان حلمه لم يتناسب وواقع وظروف بيئته في زمنه، وهو يشبه حلم اشعيا النبي، فهو الاخر كان حلمه بعيدا عن المعقول، حلم غير منطقي.. فهو قد حلم بأن "يسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدي والعجل والشبل والمسمن معا.. وصبي صغير يسوقها، والبقرة والدبة ترعيان، تربض اولادهما معا".

ان ايمان مارتن لوثر كينغ بمشروعية حلمه، وانسانيته، وما سيفيضه من خير على ابناء شعبه، جعلته يعيش واقعه المؤلم بإيجابية، ولم يجعل من نفسه اسيرا لأفكار سلبية، ويأس مفرط.. اذ ان ايمانه كان بمثابة الروح القدس.. المحرك.. المنشط.. لروح هذا الحلم.. وهذا العمل الجبار.. فحلم مارتن لوثر كينك بصوت عال.. وامام مرأى ومسمع ملايين البشر.. وشاركته حلمه، تلك الملايين.. بقوة الروح القدس.. الذي يعمل فينا.. ومنا.. ولنا.. وعملوا جميعا على تحقيق الحلم.. وبتضحيات جمة.. وصعوبات غزيرة.. ومعارضات كثيرة.. إلا ان الحلم تحقق اخيرا و تساوى السود مع البيض في حقوقهم وواجباتهم.. وارتقى مستوى الإنسان.. مع اخيه الإنسان.

قد يكون ما تحتاج اليه مشاريعنا السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية.. هو شرارة الروح القدس تلك.. شرارة الخير.. والنقاء.. التي تولد الجرأة في احلامنا.. ومشاريعنا.. فمن منا يحلم بأن تسكن الذئاب مع الحملان؟، ويؤمن عميقا بذلك.. وبإيجابية وجرأة؟. من منا يؤمن بأن يربض النمر مع الجدي؟، وان ترعى الدبة والبقرة معا؟. من منا يؤمن بإيجابية وجرأة انه يستطيع أن يأمر الجبال بأن تنتقل الى البحر فتفعل؟.

ان هذا الإيمان يحتاج الى تفكير ايجابي عميق.. وهذا لايعيش في عقول ملأة بالسلبية.. فالإثنان متنافران.. لا يتقابلان.. ولا يلتقيان.. هنا قد نشعر اننا بحاجة الى ان نتحول بتفكيرنا قليلا عن المألوف "السلبي".. ونحاول التفكير ايجابيا في بعض ما يدور حولنا.. وننظر اليه بعين الخير.. فكل الاشياء تعمل لخير الإنسان.. فعيننا سراج جسدنا.. وعيننا هي نور لافكارنا.. ولنحاول ولو قليلا ان نضع على الطاولة بعض المسائل والاشياء الايجابية التي نملكها "وهي كثيرة ان حاولنا تشخيصها"، علها تغير نظرتنا الى واقعنا.

من تراثنا

من جملة ما ينعش الذاكرة بذكريات الوطن.. اننا اذ كنا صغارا، كنا نحوم حول تنور الخبز الطيني الذي كانت "تخبز" لنا به امي اقراص الخبز الشهية منتظرين وبفارغ الصبر، تحرر الخبز من تلك النيران المثيرة.. كي نتسارع الى البحث عن قطعة محروقة في القرصة.. وهنيئا لمن يحصل عليها فهو بتناوله لها، سيعيش يومه متأملا ان يجد شيئا ثمينا، نقود ربما.. لعبة، او قصة من قصص الأطفال.. وهو.. بهذا الأمل الذي خلقته فيه تلك القطعة المحروقة، سيقضي وقت فراغه، باحثا في البيت، او خارجه، بجدية وحماسة ونشاط عن كنز مفقود.. ملقى على الأرض.

تساؤل

ان عقولنا بحاجة الى ان تلتهم قطعة الخبز المحروقة تلك، فتثير فينا الايمان والتفاؤل والامل المشع، وهذا مطلوب منا على مستوى الافراد والمؤسسات وعلى مستوى الحوارات والمقالات. كما نستطيع ان نحقق احلامنا ومشاريعنا.. ونرتقي بها الى مستوى المقارنة بأحلام لنكولن، ومارتن لوثر كينك، تلك التي كان الايمان والامل محورها الرئيسي.. فضحّى بالكثير من اجلها، وتحققت.. فهل ان تحقيق مشاريعنا اصعب من ان ترعى الحملان مع الذئاب.. وأن تنقل الجبال الى البحر؟؟.

* إشارة الى كتب "النبي" و"الأجنحة المتكسرة" و"التائه" لجبران خليل جبران.

مجالس المحافظات.. تجربة رائدة وأداء متواضع

حميد الموسوي - بغداد

كان من بين سمات وملامح ومحاسن مرحلة ما بعد التغيير استحداث بعض التشكيلات الادارية وعلى مختلف المستويات والصعد وفي جميع محافظات العراق بلا استثناء، شأنها شأن منظمات المجتمع المدني وحركاته المختلفة المشارب والأهواء والمتعددة الاتجاهات والأهداف، والتي حرم منها العراقيون طيلة العقود السود المنصرمة بسبب سياسة الكبت والاضطهاد والاستبداد التي مارستها السلطات الدكتاتورية المتعاقبة، بحيث صارت مثل هذه التجمعات والتشكيلات أمرا عجيبا وغير مألوف بتعاقب الزمن وطول الفترة خاصة عند الجيل اللاحق الذي فتح عينيه على سياسة الجدار الحديدي وتمت أدلجته من أيام الروضة والابتدائية عبر "الأشبال والطلائع والفدائيين والقدس والجيش الشعبي" ليحشر فيما بعد بأتون أمهات القادسية والمعارك والحواسم وأيام البسوس والنخوة والكونة وغيرها.

ولعل من أهم التشكيلات الادارية الرسمية الحديثة التي توسم بها المواطن خيرا ورجا آملا حل مشكلاته اليومية المتراكمة المستعصية هو تشكيل "مجالس المحافظات" والتي كان الهدف من تأسيسها معالجة مشاكل المواطنين وتقديم الخدمات الضرورية، وتوفير المستلزمات الأساسية لجماهير المناطق التي رشحتهم لتمثيلها في هذه المجالس المنتخبة في عموم المحافظات العراقية. وبرغم بساطة مطاليب الناس، وكونها من أقل الحقوق التي يفترض توفيرها بسخاء وأدنى الاحتياجات التي نعم وينعم بها حتى المهجرون في دارفور والضائعون في جفاف أفريقيا، لكن العراقي المظلوم ظل محروما منها ويعاني الشدة والقهر قبل حصوله على الضرورات منها والتي لا يمكن للبشر الاستغناء عنها. وبرغم قناعة فقراء الوطن بأقل القليل من انجازات هذه المجالس الموقرة إلا انها وقفت عاجزة متفرجة تجاه أبسط متطلبات الناس وانشغل أعضاؤها بمصالحهم الخاصة، وترتيب أوضاعهم وربما نسوا أو تناسوا الغاية من انشاء هذه المجالس، وتغافلوا عن طبيعة الأعمال والمسؤوليات الملقاة على عواتقهم بمجرد تسنمهم المراكز الوظيفية في هذه المجالس. كان المتوقع من انشاء هذه المجالس هو المساهمة الجادة في النهوض بالمحافظات التي تمثلها وتغيير الواقع المزري الذي تعانيه طبقات المجتمع المختلفة على المستوى المعيشي والخدمي والاجتماعي.

برغم قبول فقراء الوطن بأقل القليل من إنجازات مجالس المحافظات، إلا أن هذه المجالس وقفت عاجزة تجاه أبسط حقوق الناس ومتطلباتهم

باعتبار انتساب عضو المجلس الى المنطقة أو المحلة التي يمثلها واحتكاكه المباشر وتسجيله معاناة واحتياجات الناس بشكل دقيق وبحرص تام. لكننا وبكل اسف لم نر على ارض الواقع أي نشاط لهذا المجلس، ولم نتعرف على أعضائه إلا عند حصول مشكلة شخصية لهذا العضو أو ذلك فيعلق عضويته كأسلوب دعائي استعراضي ضاربا عدة عصافير بحجر واحد: منها تنصله من المسؤولية والنأي بنفسه حتى تعود الأمور الى مجاريها الطبيعية، ومنها ايهام الناس بأنه علق عضويته اعتراضا واحتجاجا على عدم تنفيذ مقترحاته بإنجاز المشاريع الفلانية، ومنها أنه يريد الضغط على الحكومة لزيادة التخصيصات لمنطقته، ومنها ومنها.. لكن الحقيقة هي غير ذلك ولا تعدو أموره الشخصية وتثبيته في المجلس.

لقد تذرع الكثيرون بالأوضاع الأمنية والتخصيصات المالية جاعلين منها شماعات لتعليق فشلهم وتهاونهم وأخطائهم مع أن الحالة الأمنية مستتبة في أغلب مناطق بغداد ومستقرة في المحافظات الوسطى والجنوبية والتخصيصات المالية مجزية ولم نشهد لحد الآن قيام مشاريع خدمية ذات منفعة بارزة اللهم إلا صبغ بعض الأرصفة وترميم المدارس في صفقات خيالية وعبر مقاولات وهمية صودرت خلالها ملايين الدولارات من التخصيصات المجزية التي يدّعي البعض بعدم كفايتها.

أن هذه المجالس التي تم تشكيلها منذ أكثر من ثلاث سنوات، وأعيد انتخاب أعضائها مرتين أو أكثر قد فقدت أسباب وجودها بعد ان تحولت الى واجهات اعلامية لهذا الطرف او ذاك وتحولت عن المهام والأهداف المناطة بها، والخاسر الوحيد بالنتيجة هو المواطن الذي أوصل الجميع الى هذه المراكز ومتعهم بكل هذه الامتيازات ليخرج بخفي حنين!.

كان المفروض بمجالس المحافظات أن تكون الظهير القوي والمعين الناشط للحكومة في تنفيذ المشاريع الضرورية

كان المفروض بهذه المجالس ان تصبح الظهير القوي للحكومة والمعين الناشط لها في تنفيذ المشاريع الضرورية لما تتمتع به من مرونة في العمل والتواصل مع الوزارات بعيدا عن الاجراءات النمطية بتشكيل لجان من أعضاء المجلس وكل حسب اختصاصه لتتولى المهام التي تناط بها من قبل الوزارات ويدعم منها لخدمة مناطقها على أقل تقدير.

لقد كان الأجدر بهذه المجالس ان تكون عند حسن ظن الأصوات التي جازفت بحياتها لتوصلها الى ما هي عليه، وان تكون بمستوى الدور الذي عاهدت الله والجماهير على حسن ادائه، كما كان عليها الاقتداء بتجارب المجالس البلدية في بلدان العالم المتحرر والتي يناط بها وضع البرامج والخطط وأولويات المشاريع ومتابعة تنفيذها ويسند اليها تحديد التخصيصات المالية حسب حجم وأهمية المشاريع ومواقعها كما يقع على عاتقها اختيار أنواع المشاريع الخدمية والعمرانية حسب الأولويات التي تحددها.

أن العراق الذي يمر بأخطر مرحلة من تاريخه الحديث بحاجة الى جهود جميع أبنائه وكل من موقعه للخروج من هذا المنعطف الحاد والثبات بوجه الهجمة الارهابية الشرسة ليأخذ موقعه اللائق ويستعيد عافيته. كما أن الجماهير التي عانت الأمرين من ظلم وتعسف السلطات الدكتاتورية وتنسمت رياح حرية التغيير تتوقع الكثير من سياسييها سواءا كانوا برلمانيين أو رؤساء أو قادة حركات أو أعضاء مجالس محلية "مجالس المحافظات" من الذين وضعت ثقتها بهم وخولتهم استعادة حقوقها وأوكلت اليهم صنع مصيرها.

فهل سيكونون عند حسن ظنها وبحجم ثقتها؟.